▫ عظمة المكاسب والمنجزات المعاشة نابعة من عظمة الثورة، ودحرها لظلمات الإمامة والاستعمار.

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

بين زمنين.. ميدان التحرير... شاهد فجر الثورة

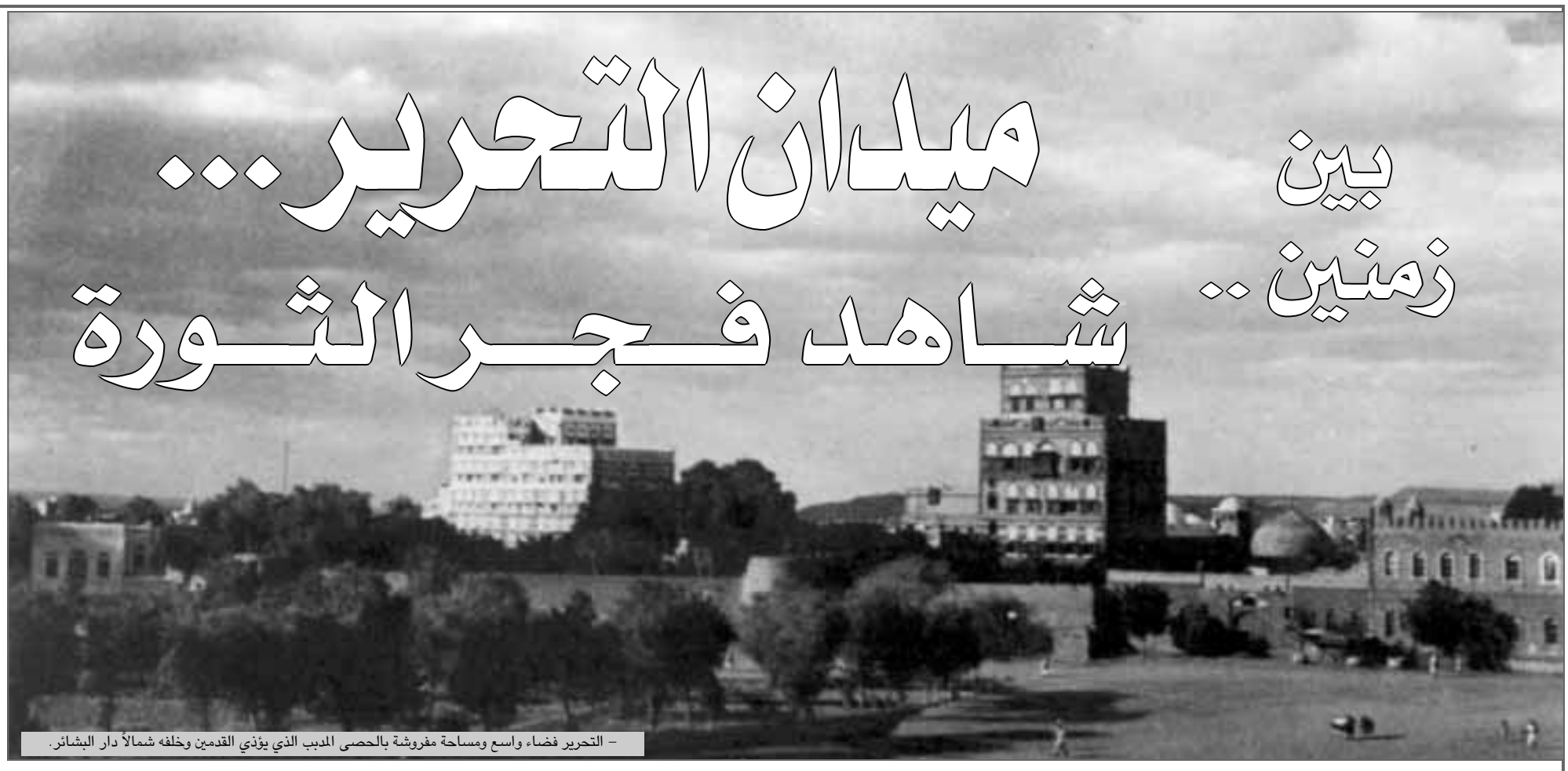

– التحرير فضاء واسع ومساحة مفروشة بالحصى المدبب الذي يؤذي القدمين وخلفه شمالاً دار البشائر.

▫ ساحة لإعدام الأحرار.. (شرارة التسمية الأولى ..فالتحرير.

▫ قبل الثورة كان ميداناً لالتقاء القبائل وتدارس أوضاع البلاد

▫ قبل سبتمر ١٩٦٢ م ، كانت الأمور تسير فى ميدان « شرارة » على طريقة البؤس المفرط ، رغم ان هذا الميدان هو قلب صنعاء ـ لكن ليس كما اليوم .

كان دخوله مبعثاً للشفقة فالغالبية من الناس حفاة وينتشر الحصى فى كل أنحائه بدءاً من باب الشقاديف مروراً بباب السباح، وصولاً إلى باب شرارة الذى هو بوابة التحرير الحقيقية فلكم ان تشعروا بمقدار المأساة والألم الذى يشعر به حافي القدمين وهو يرتع فى هذا المكان صباح مساءَ هذا هو الوضع كما يتذكره محمد العماد ـ ٦٨ عاماً .

بالنسبة لـ ((سمير العقر)) ابن السبع سنوات آنذاك كانت الأمور تسير بالطريقة ذاتها .. انتظاره فى طابور طويل مع ثلة من الأطفال كل خميس عند باب شرارة تحت الشمس المحرقة كى تمتد يد الأمير الحسن قاذفة لهم بضع (زبيبات) وبقشتين (وهي العملة المعدنية الدنيا ـ السائدة فى عهد حكم الأئمة) كمكافأة لهم على مزيد من التصفيق الحار والبائس عند خروج « الإمام » من باب شرارة متجهاً إلى سوق الذهب - اليوم - ماراً بحارة - العلمي - حتى الجامع الكبير - يالها من قسوة ، المراسيم العتيقة الإمامية تطال حتى الصغار، يؤمون لأكثر من خمس ساعات بانتظار طرطقات رتل خيول البيت الملكي ونظرات ازدراء مقيتة من الحاكم تزيدهم بؤساً إلى بؤسهم .

استطلاع/ عبدالله محمد حزام

شرارة والتسمية

لم يتوقف سمير ٤٩ عاماً عن قول المزيد من حياة ذلك الزمن الغابر التعس .

مازال يعرف جيداً أصل تسمية التحرير بميدان شرارة ذلك الميدان سميء الصيت قبل ثورة ٢٦ سبتمر ١٩٦٢ م .

يقول : كان ميدان الإعدامات للثوار فقد كانت تلويحة الإمام بيده من شرفة دار الشكر إشارة موافقة للسياف ليطير برؤوس قادة الثورة والساعين للتغيير – من هنا جاءت تسمية ميدان التحرير بميدان شرارة – ، كان لباب شرارة رهبةً بخاصة مع اقتراب المغرب – فهو الباب المؤدي إلى ساحة الموت –ينتصب بابه الضخم الذى صنعه الأتراك شاهداً على عقود من الخوف والهلع والفقر والجوع .

مايزال المشهد عالقاً فى ذهن محمد العماد حتى تاريخ صناعة الباب يحفظه جيداً ، ويؤكد انه مازال موجوداً فى بيت الشراعي بشارع ٢٦سبتمبر .

نوبة الخوف

إلى جانبه كانت تجثم رهبة أخرى أكثر قسوة نوبة « باب السباح » التى هى مكان محلات الحاشدي اليوم، يتحدث عنها الأخ سمير العقر – الذى مازال يحفظ تفاصيل المكان لأنه قرأ مشاهده صغيراً .

يقول : تلك النوبة تشبه نوبة دار السعادة ، المتحف الوطني حالياً والتى ماتزال موجودة ، سميت (بمقر القانون) آنذاك وهى فرقة من العسكر كانوا يلبسون قطعاً نحاسية فى شكل الهلال على صدورهم وكان الناس يطلقون عليهم ايضاً « عسكر القانون » يصفهم العقر بـ « الجبابرة » لأن طلّتهم كانت تبعث على الخوف . فكانوا حين يبطشون بالمشتكى به تكون بطشتهم شديدة لأنهم رتبة عالية فى جيش الإمام

خارطة للمكان

محمد العماد ،وعبد الله الولي يسردان جزءاً جديداً من تفاصيل خارطة التحرير، يلوح الولي بيده والبهجة تعتلي وجهه يقول: هذا البنك اليمني للإنشاء والتعمير المواجه لمارد الثورة كان وزارة العدل والإستئناف ، وكان الغيل الأسود أحد غيول صنعاء الشهيرة يقطع ذلك الحي ملتفاً باتجاه منطقة دائرة التوجيه المعنوى حالياً ، والتي كانت بساتين الأمير الحسن .

وفي الاتجاه المقابل من مقر محكمة الإستئناف كانت دار المعارف ومبنى أمانة العاصمة كان مكتباً يتيماً للصحة فيما اختير المتحف الحربي كدار ضيافة وقتها . ومن الجهة الغربية – بجانب مجلس النواب اليوم كانت مدرسة القسم الداخلي وفي الجانب الشمالي من التحرير المدرسة العلمية اما شارع جمال فكان عبارة عن سائلة مليئة بالتراب والأحجار ، ويعتقد أصحاب حي التحرير آنذاك وجود نفق ممتد من دار البشائر حتى الروضة يقال انه كان مخصصاً كطريق لنساء بيت الإمام حسب رواية العقر ،اردت ان اجمع الكثير عن التحرير من شخوص عاشوا تلك المرحلة احدهم عبد الله السواري ٦٠ عاماً ـ سائق تاكسي يعيش منذ نعومة اظافره بباب السباح ،شارك فى الثورة وحمل سلاح « الشمايزر» الذى وزعه الثوار ووجه رصاصاته صوب الطغيان .

التحرير بين الأمس واليوم . هذا ما اقوله للسائق السواري بهدوء وزدت على ذلك :هل تعلمت حينها ، هنا يستدير السائق ١٨٠ درجة ويتحدث ببعض القلق : أشكر الله ياابني على النعمة التى انتم فيها كنا مشغولين بالبحث عن الخبز ، اما التعليم فلم يكن حقاً لنا كان مقصورا على بيت الإمام والأشراف أما بقية الشعب فهم عبيد .

تعليم فئوي

ماأكده سمير العقر مطابقاً لما سرده السواري فقد كان سيمر يحلم بدخول الكُتاب وتسنى له ذلك حين بلغ عمره (١٠ سنوات) لكن حلمه وئد بعد سنوات فابن المواطن العادي لايحق له مواصلة الدراسة لانها حكر على ابناء الذوات ،انظروا إلى الواقع المؤسف ... هنا انتهى حلم كثيرين ، فبين الفينة والأخرى يتفحص موظف من دار المعارف كتاب سمير لمعرفة متى ستنتهي دراسته المسموح بها ومعه آخرون فجميع هؤلاء سيتم توزيعهم على اعمال حرفية هى حرف آبائهم بينما يواصل ابناء الاشراف تعليمهم حتى النهاية .

مع ذلك يقول العقر : كنا نتحصل على قسط من الفرجة المجانية كل شهر حيث كان حفل ختم القرآن مقرراً فى ساحة الامير الحسن بشارع ٢٦ سبتمر ، لعدد لايقل عن خمسة طلبة من اسرة الأمام والأشراف ، فقد كانوا يركبون أحصنة مسرجة ويطاف بهم ، واحتفاءً بالمناسبة توضع شوالات من الزبيب واللوز بالساحة لتوزيعها على الجموع الموجودة وعلى المدخل يوضع برميل شراب أحمر يشبه الفيمتو يغرف منه.

كان ذلك يشعرهم بالحسرة كما يقول سمير حين يشاهدون رفاقهم على الخيول مدللين بينما تتشظى احلام سمير ورفاقه ، موعودين بعناء الحرفة وتصبب حبات العرق صباح مساء.

موطئ خرافات

ولكن التحرير « ميدان شرارة » عام ٦٠ ـ ١٩٦١ م ظل مكاناً لانبعاث خرافات اكثر إيماناً لأنه موطئ الإمام آنذاك.

شاهد عيان يدلل على ذلك قال : اتذكر جيداً سفر الأمام احمد الى ايطاليا لتلقي العلاج ، كالعادة خرجنا لاستقباله واستمر وقوفنا تحت الشمس من الصباح الباكر حتى الساعة الـ٦ مساءً بميدان التحرير.

ويصف عبد الله العقر مشهد قدوم الامام من ايطاليا بسيارة يقال لها (عبلة) قال: لكن التعب والإرهاق كاد يقضي علينا ونحن فى تلك السن الصغيرة مع ذلك كنا نعتقدها جسماً يأكل ويشرب وربما بسخرها الإمام كالجن المردة الذين ادعى سيطرته عليهم وتسليطهم على شعبه .

ماسوشية الألم

بعد كل ذلك التعب الا أن عبدالله واخيه سمير تمكنا من التقاط عبارات تمتم بها الإمام بقلق لنائبه عبدالله الوزير سأله: كيف الوضع، قال الوزير كما تركتوه يا مولاي، رد عليه الإمام بوجل: إثبت لي

لم يعرف الصغار نتيجة تلك الحوارية المقتضبة

التي برهن الوزير لمولاه فيما بعد أن شعبه ما زال يغط في حالة «ما سوشية » من استعذاب الألم والخرافة ودون التأكد من حقيقة ذلك.

ففي اليوم التالي سرت موجة من الإشاعة سبكها الوزير بدأت من التحرير صباحاً وانتشرت في عموم صنعاء مفادها: جن الإمام قالتين والحل هو قطرنة الصغار والكبار– تلقى الشعب الإشاعة بقلق بالغ ونفذوا التوجيه، وتحقق للوزير ما اراده ليثبت للإمام أن شعبه ما زال أكثر جهلاً وإيمانا بقدرات إمامه على الإتيان بالخوارق.

جن .. وسينما

سيكون من المثير رؤية أشباح وأصوات أسود وصور غريبة عرض جبل نقم .. في زمن قبل العام ١٩٦٢م..

ساكنو باب السباح والأحياء المجارة كانوا يعتقدون أن ذلك من قدرات الإمام الخارقة وتلك الصور والأصوات هي جنُّه وشياطينه..

يقول: سمير العَقر كان الإمام يكلف عسكر الطبشية بتشغيل «جهاز السينما» الوحيد ويوجه الشعاع صوب جبل النقم فتظهر الصور والأصوات هناك ويسمعها ويشاهدها جميع ساكني صنعاء..

بوابة الثورة

أما التحرير فقد كان ميداناً للثورة والتقاء«القُبل» هناك كان بمثابة دعوة لاجتماعات متتالية لتدارس

– نوبة من الطين كانت مقراً«لعسكر القانون» الأشد فتكاً في جيش العهد البائد..